

كان النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه يذكرون الله وكأنما على رؤوسهم الطير

الصبر على الطاعة من أفضل أعمال البر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما أعطى أحد من عطاء خير وأوسع من الصبر



■ كثير من الخلق يسهل عليهم الصبر على المصائب والبلايا وعن المعاصي ولكن قليلاً منهم من يصبر على طاعة الله

قال الشافعي: «رأيت شيخاً قد أتى عليه تسعون سنة، يدور نهاره اجمع حافياً راجلاً على اللبثات يعلفهن الغناء، فإذا أتى نصفه صبر والنصف الآخر لشكر، وقد ذكر الصبر في القرآن في تسعين موضعاً في موطن المدح والنداء والأمر به، وهو واجب بإجماع الأمة، وهو أنواع:

1. الصبر على طاعة الله، وهو الفضلها،
2. الصبر عن معصية الله عن وجل، وهو يلي النوع الأول في الفضل.

3. الصبر على امتحان الله عن وجل.

قال ابن القيم رحمه الله: «فالأولان صبر على ما يتعلق بالكسب، والثالث صبر على ما لا كسب للعبد فيه».

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها اكل من صبره على إلقاء إخوته له في الجب، وبيعته، وتقربهم بيته وبين أبيه، فإن هذه أمور جرت عليه بغير اختيار، ولا كسب له فيها، ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر، أما صبره عن المعصية، قصير الاختيار ورضاء، وحاربة للنفس، ولا ينميا مع الأسباب التي تلوى معها دواعي الموافقة، فإنه كان شاعياً، وداعية الشياطين إليها قوية، وغزياً ليس له ما يعوضه ويرد شهوته، وغريباً والغريب لا يستحي في بلد غريبته مما يستحي منه من بين أصحابه ومعارفه وأهله، ويمتلكو والملوك أيضاً ليس له وزع كوازع الحر، والمرأة جميلة، وذات منصب، وهي سيده، وقد غاب الرقيب، وهي الداعية له إلى نفسها، والجريصة على ذلك أشد الحرص، ومع ذلك توعدته إن لم يفعل بالسجن والصغار، ومع هذه الدواعي كلها صبر اختياراً وإيماناً لما عند الله، وابن هذا من صبره في الجب على ما ليس من كسبه؟!

وكان يقول: الصبر على أداء الطاعات اكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل، فإن مصلحة فعل الطاعة أحب إلى الشارع من مصلحة ترك للمعصية، ومفسدة عدم الطاعة أبغض

نزلت في جذر قلوب الرجال قبل هبوط الوحي بكتاب الله

الأمانة.. ضمير حي إلى جانب فهم صحيح للقرآن والسنة

الإاماة التي تدعو إلى رعاية الحقوق، وتصمم عن الدنيايا، لا تكون بهذه المثابة إلا اذا استقرت في وجدان المرء، ورست في أعماله، وهيمت على الداعي والقاصي من مشاعره، وذلك معنى حديث حذيفة بن اليمان عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «ان الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن، فلعلموا من القرآن وعلموا من السنة، والعلم بالشريعة لا يغني عن العمل بها، والأمانة ضمير حي إلى جانب الفهم الصحيح للقرآن والسنة.

وإذا مات الضمير انتزعت الأمانة، فما يبقى من المرء تريد للأيات، ولا دراسة للنس، وأدعياه الإسلام يزعمون للناس وقد يزعمون لأنفسهم أنهم أماء، ولكن هيهات أن تستقر الأمانة في قلب تنكر للحق ومن ثم يستطرد حذيفة في وصفه، لتسرب الأمانة من القلوب التي تتخلل فيها البين، فيروي عن الرسول: «ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال: ينأى الرجل التومة فتنتقض الأمانة من قلبه فيقتل التي تتخلل فيها هو الأثر المغاير كالتلفطة على الصحيفة ثم ينأى الرجل التومة فتنتقض الأمانة من قلبه، فيقتل أثرها مثل أثر اللجل كالتيور التي تظهر في اليد مثلا في استخدام الأدوات الخشنة ثم قال: فيصبح الناس يتبايعون، لا يكاد أحد يؤدي الأمانة: حتى يُقال: «ان في بني فلان رجلا أميناً، وحتى يُقال للرجل: ما أجده ما أقره ما أعقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل من أمانة»، والحديث يصور انتزاع الأمانة من القلوب الخائنة تصويراً مخرجاً فهي كذكريات الخير في النفوس الشريفة، تمر بها وليست منها، وقد تترك من مرها لئلا لأعما، بيد أنها لا تحيي ضميراً مات،

وأصبح صاحبه يزن الناس على أساس أثرته وشهوته، غير مكتر بكرر أو إيمان؟! ان الأمانة فضيلة ضخمة، لا يستطيع حملها الرجال المهزأيل، وقد ضرب الله المثل لنخامتها، فأبان أنها ثقلى كاهل الوجود فلا يتغنى للانسان أن يستهين بها، أو يفرط في حقها. قال الله تعالى: «اناعرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان انه كان ظلوما جهولا»، والظلم والجهل أفتان عرضتا للفطرة الأولى، وغنى الإنسان جهادهما، فلن يخلص له إيمان، إلا اذا تقاه من الظلم: «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن» ولن تخلص له تقوى الا اذا تقاهما من

الجهالة: «انما يخشى الله من عباده العلماء»، ولئلك يعد ان تقرا الآية التي حملت الانسان الأمانة تجد ان الذين غلبهم الظلم والجهل، خانوا وناقلوا وأشركوا، فحق عليهم العقاب، ولم تكن السلامة الا لأهل الإيمان والأمانة: «ليعذب الله المشاكين والمنافقات والمشركين والمشركات ويثوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما».

الوفاء اذا أكرم المسلم عقدا فوجب أن يحترمه، وإذا أعطى عهدا فوجب أن يلتزمه ومن الإيمان أن يكون المرء عند كلمته التي قالها، ينتهي إليها كما ينتهي لاشاء عن شططاته: فيعرف بين الناس بان كلمته موثق غليظة، لا خوف من نقضها ولا مطع في

قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ما بين ضربة بالسيف وطفعة بالريح ورمية بسهم، ووجدناه وقد مثل به المشركون، فما عرفه الا أخته، بشاعة فيه، ما بيناته.. قال أنس: كنا نرى أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا».



■ كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز أكمل من صبره على إلقاء إخوته له في الجب وبيعه لأنها أمور جرت بغير اختياره

اتصف الصديق بالأخلاق الحميدة، والصفات الرفيعة ومسابقتها في الخيرات حتى صار في الخير قدوة، وفي مكارم الأخلاق أسوة، وكان حريضا أشد الحرص على الخيرات، فقد أبى أن ما يمكن أن يقوم به المرء اليوم قد يكون غير ممكن في الغد، فاليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل، ولذلك كان من المسارعين في الخيرات: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من أصبح منكم اليوم صائما؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكينا؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضا؟» قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ما اجتمعن في امرئ الا دخل الجنة».

كظمه للغيظ

قال ابو هريرة: ان رجلاً شتم ابا بكر ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- جالس، فجعل النبي -صلى الله عليه وسلم- يعجب ويبتسم، فلما أكثر الرجل رد عليه ابو بكر بعض قوله، فغضب النبي -صلى الله عليه وسلم- وقام، فلفحه أبو بكر وقال: يا رسول الله، كان يستمني وأنت جالس، فلما أكثر رددت عليه بعض قوله غضبت وقلت: فقال عليه الصلاة والسلام: «انه كان معك ملك يرد عنك، فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان»، فلم أكن لأقعد مع الشيطان»، ثم قال: «يا ابا بكر، ثلاث كتين حق: ما من عبد ظلم بمنظمة فيغضي عنها له -عز وجل- الا أعز الله بها نفسه، وما فتح رجل باب عطية يريد بها مسألة الا زاد الله بها كثرة، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة الا زاد الله بها قوة»، ان الصديق رضي الله عنه اتصف بكظم الغيظ ولكنه رد ما قلن الله به بسكت هذا الرجل، فرغبه النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحلم والأناة، وأرشدته الى ضرورة تحليه بالصبر في مواطن الغيظ، فإن الحلم وكظم الغيظ مما يزيد المرء ويجمله في أعين الناس، ويرفع قدره عند الله تعالى.

ويتبين لنا ذلك من هذا الموقف حرص الصديق على عدم الغضب النبي -صلى الله عليه وسلم- الامتناع عن إرضائه، وفي دم الغضب للنفس، والتباعد عنه والتحذير منه، واعتزال الانبياء للمجالس التي يحضرها الشيطان، وبيان الفضل للفظول الصابر المحتسب لأجر والثواب، وقبه حث على العطايا، وصلة الأرحام، ودم للمسالمة وأهلها.

وظل الصديق متمسكا بالحلم وكظم الغيظ

عُرف بالحلم والأناة ولين الجانب والرفق

أبو بكر السباق في فعل الخيرات ومكارم الأخلاق

حتى عُرف بالحلم والأناة، ولين الجانب والرفق، وهذا لا يعني أن ابا بكر لم يكن بغضب، وإنما كان غضبه لله تعالى، فإذا رأى محارم الله قد انتهكت غضب لذلك غضبا شديدا.

لقد عاش بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «متاملا ومتفكرا» وعابلا بقوله تعالى: «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين».

بلى أحب أن يغفر الله لي

كان أبو بكر يغول مسلط بن أئاته، فلما قال في عائشة -رضي الله عنها- ما قال (حديث الألف المشهور) أقسم بالله أبو بكر ألا ينفعه أبدا، فلما أنزل الله -عز وجل-: «ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليفقوا ولينصنفوا الا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم» [التور: 22] قال أبو بكر: والله اني أحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبدا.

ولقد فهم الصديق من الآية أن على المؤمن التخلق بأخلاق الله، فيعفو عن الهفوات والزلات والزلز، فإن فعل فآلهه يعفو عنه ويسترد ذنوبه، وكما تدبر تدان، والله سبحانه قال: «الا تحبون أن يغفر الله لكم؟ اي: كما تحبون عفو الله عن ذنوبكم فكذلك اغفروا لمن ذنوبكم. وكما أن في الآية من حلف على شيء الا يفعله، فرأى أن فعله أولى من تركه، اتاه وكفر عن بيمته، وقال بعض العلماء: هذه أرجى أبة في كتاب الله تعالى: من حدث لطف الله باللفظة المعصاة بهذا اللفظ.

لقد دلت هذه الآية على أن ابا بكر أفضل الناس عند النبي -صلى الله عليه وسلم-: لأن الله وصفه بصفات عجيبة في هذه الآية، دلت على علو شأنه في الدين، أورد الرازي في تفسيره أربع عشرة صفة مستنبطة من هذه الآية: «ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة» منها: أنه وصفه بأنه صاحب الفضل على الإطلاق من غير تقييد لذلك بشخص دون شخص، والفضل يدخل فيه الافاضال، وذلك يدخل على أنه كان فاضلا على الإطلاق، وكان مفضلا على الإطلاق، ومنها أنه لما وصفه تعالى بأنه «أولو الفضل والسعة» بالجمع لا بالواحد وبالعجوم لا بالخصوص على سبيل المدح، وجب أن يقال: انه كان خالبا عن المعصية؛ لأن المنود إلى هذا الحد لا يكون من أهل النار.



تزكية الأزواج بالتدبر والتأمل وأداء العبادات

البناء التعبدى والأخلاقى في العهد المكي

قال: الرحمن الرحيم: قال الله تعالى: «التي على عيدي، وإذا قال: مالك يوم الدين: قال: مجدي عدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: عدي، ما بيني وبين عيدي ولعدي ما سال، فإذا قال: أعدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال: هذا لعدي ولعدي ما سال».

طمانينة النفس وراحتها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى، وقد جعلت فرة عينه في الصلاة، وقد علم الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة كثيرا من السنن والنوافل ليزيدوا صلة بربهم، وتأمين بها نفوسهم، وتصبح الصلاة سلاحا مهما لحل همومهم ومشاكلهم.

الصلاة حاجز عن المعاصي: قال تعالى: «اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وذكركم أكبر والله يعلم ما تصنعون».

كان الصحابة رضي الله عنهم عندما يؤدون صلاتهم تتخبر بها نفوسهم، وتمدهم بقوة دافعة لفعل الخيرات والابتعاد عن المنكرات، فكانت لهم سباجا ميثقا حماهم من الوقوع في المعاصي.

في الإسلام، فإن النفس البشرية إذا لم تتطهر من أدرانها وتتصل بخالقها لا تقوم بالتكاليف الشرعية الملقاة عليها، والعبادة والمداومة عليها تعطي الروح قوفا وقوفا وإذا ودغنا قوفاً إلى الغيايم بما تؤمر به.

إن الصلاة تأتي في مقدمة العبادات التي لها أثر عظيم في تزكية روح المسلم، ولعل من أبرز أنارها التي أصابت الرعيل الأول.

الاستجابة لأمر الله تعالى وإظهار العبودية له سبحانه: وقد ألقى الله تعالى على عبادہ المؤمنين الذين استجابوا لأمره، فقال عز وجل: «والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وآزره شورى بينهم وتما زرفاتهم ينفقون» [الشورى: 38].

وكان الرعيل الأول يرى أن لكل عمل من أعمال الصلاة عبودية خاصة وتأثيرا في النفس وتزكية للروح.

نتيجة الصلاة عبودية خاصة وتأثيرا في الله عليه وسلم مشهدا من مشاهد هذه المناجاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عيدي نصفين، ولعدي ما سال، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبيدي، وإذا

تزكية أرواح الرعيل الأول بانواع العبادات: رزى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه على تزكية أرواحهم وأرشدهم إلى الطريق التي تساعدهم على تحقيق ذلك المطلب من خلال القرآن الكريم ومن أمهها:

التدبر في كون الله ومخلوقاته، وفي كتاب الله تعالى.
التأمل في علم الله الشامل وإحاطته الكاملة بكل ما في الكون، بل ما في عالم الغيب والشهادة.

عبادة الله عز وجل، من أعظم الوسائل لتربية الروح وإجلها فدرا، إذ العبادة غاية التذلل لله سبحانه ولا يستحقها إلا الله وحده.

العبادات التي تسمو بالروح وتتهر النفس نوعان:
النوع الأول: العبادات المفروضة كالطهارة، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج وغيرها.
النوع الثاني: العبادات بمعناها الواسع، ويشمل كل شيء يتنوّى به التقرب إلى الله سبحانه وتعالى فهو عبادة يلاب صاحبها، وقربى روحه تربية حسنة.

إن تزكية الروح بالصلاة وتلاوة القرآن، وذكر الله تعالى، والتسبيح له سبحانه أمر مهم